## دلع الرحبي كاتبة النص كانت نجمة العمل الحقيقية

# «عصي الدمع»: تحطيم المؤسسة الزوجية لكسر هيمنة الرجل!

دمشق ـ «القدس العربي»
ـ من أنور بدر

ينتمي حاتم علي إلى جيل المخرجين الشباب في الدراما السورية، بل هو أحد ممثلي هذا الجيل، الذي تألق بسرعة عبر ثنائية درامية بكل عام، إحداها تاريخي (الزير سالم، صقر قريش، التغريبة الفلسطينية، ملوك الطوائف)، والثانية معاصرة (الفصول الأربعة بجزأيه، أحلام كبيرة، عصي الدمع)، وهو يدرك أن المشاهد السوري يميل أكثر إلى الدراما الاجتماعية المعاصرة، لكنه يدرك أيضاً أن نجوميته على الفضائيات العربية ترتبط بنوع من الدراما التاريخية، أشتغل عليها بشكل جميل، حتى أن نتاجات الدراما المصرية أصبحت تقاس إلى نتاجاته كما حدث في ملوك الطوائف.

إلا أننا في مسلسل «عصي الدمع» الذي عرض على التلفزيون السوري والعديد من الفضائيات العربية الأخرى، فقد شاهدنا لأول مرة في الدراما السورية سيطرة للنص والسيناريو، ففي مصر تنسب الكثير من الأعمال الهامة لأسامة أنور عكاشة مثلاً، أكثر مما تنسب لمخرجيها أو ممثليها، فعكاشة هو نجم العمل الحقيقي في الكثير من المسلسلات المصرية، وفي عصي الدمع كانت «دلع الرحبي» نجمة حقيقية لهذا العمل إلى جانب حاتم علي مخرجاً، وقد سبق لهذا الثنائي أن تألق في عمل كوميدي معاصر من جزأين باسم «الفصول الأربعة».

لكننا الآن نسمع من يتحدث عن دكتاتورية النص بالمعنى السلبي للعبارة، وأنا لن أذهب في هذا الاتجاه، لكنني أقول أن اهتمام دلع الرحبي بقضايا المرأة المعاصرة جعلها تبتعد عن المنطقة الحيادية في الكتابة، جعلها تكتب بحميمية وانتماء إلى موضوعها وإلى أبطالها، حتى أنها في بعض المشاهد تركت هؤلاء الأبطال ينظّرون باسمها لما يعانون في واقعهم.

ورغم أن هذا المسلسل لم يظهر في استبيانات الصحافة السورية حول أهم الأعمال التي عرضت في دورة رمضان الأخيرة، لارتباط خيارات المشاهدين بفترة العرض أو المتابعة من جهة، وللمجزرة الإعلانية التي رافقت هذا العمل وأساءت له من حيث لا تريد، حتى أن مخرجه رفض المشاركة في ندوة تلفزيونية حول هذا العمل احتجاجاً على التلفزيون السوري الذي استسلم لدكتاتورية المعلن على حساب العمل وعلى حساب المتلقي بآن معاً.

رغم ذلك نكتشف أن مسلسل «عصي الدمع» كُرّم مرتين بعد انتهاء الدورة الرمضانية، التكريم الأول كان من قبل «لجنة دعم قضايا المرأة السورية» في مطعم «بيت الياسمين» بدمشق القديمة، حيث حضر المخرج حاتم علي وكاتبة العمل دلع الرحبي وعدد كبير من نجوم العمل ونجوم الدراما السورية وبعض الصحافيين إضافة إلى السيدات أعضاء اللجنة.

بينما التكريم الآخر كان من قبل برنامج الأمم المتحدة الإنمائي بدمشق، وصندوق الأمم المتحدة للسكان بالتزامن مع انتهاء نشاطات مشروع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي حول تدعيم وتعزيز قضايا النوع الاجتماعي الممول من قبل الحكومة الهولندية. وقد حضر هذا التكريم إضافة لأسرة العمل، والشركة المنتجة «سورية الدولية» السيد وزير الإعلام وحشد من الشخصيات السياسية والاجتماعية والإعلامية.

اعترف هذا التكريم ـ وإن جاء متأخراً ـ بأهمية هذا العمل، بمستوى القضايا المعالجة فيه، والتي ركزت على قضايا المرأة المعاصرة، من خلال مجموعة من النماذج النسائية المهزومة أو المقهورة في واقعها، والتي لم تستطع أن تكسب حريتها إلا في نموذج واحد حين لجأ إلى تحطيم المؤسسة الأسرية، وأعطى للطرفين حرية العيش المنفصل كل في بيته أو منزله.

فالمرأة قبل أن تولد تكون خاضعة لمشيئة الذكر الأب، الذي أراد أن يحافظ على لقبه «أبو رياض» فسمى ابنته «سلاف فواخرجي» عند ولادتها «رياض العمري» وهو أسم ذكوري، دفع بهذه الطفلة ثم المراهقة فيما بعد إلى البحث عن أنوثتها المغيبة في هذا الاسم، حتى تلتقي بحبها الأول وسميّها «رياض المرادي» جمال سليمان، فنكتشف أنه ذو تجربة سابقة بالزواج، وتجربة أعمق في الحياة، يبدأ معها رحلة الإدهاش والسيطرة وهو ينظّر لها ويحدثها عن معارفه الثرة في المأكل والمشرب وفي الموسيقى الكلاسيكية الغربية، مقابل ثقافة كلاسيكية شرقية تشربتها «رياض العمري» من جدتها «آنة زهرية» منى واصف التي تعزف العود وتحب أم كلثوم، وتتحدث عنها بمناسبة وبغير مناسبة أيضاً.

نموذجان من الثقافة لا يتفاعلان، بل يسيران في خط صراعي، يحاول من خلاله رياض المرادي تكريس هيمنة ذكورية في تجربة زواجه الثاني، بينما نكتشف أن زوجته الأولى «شهد» نجوى علوان الرسامة والتي كانت تتألق بمعارضها الفنية وشخصيتها الجميلة، فقدت توازنها إثر الطلاق، وفشلت كفنانة وكأم.

باقي النماذج النسائية كلها محبطة، العوانس «معزز/لينا باتع، ومكرم، أمانة والي» العانس التي تتحول إلى حطبة يابسة إن لم تتزوج، أو أنها سترضى بأي رجل يستغلها مقابل الزواج.

رغم تأكيد دلع الرحبي أنها لم تتقصد تقديم مرافعة نسائية ضد الرجل، إلا أن كل النماذج الذكورية كانت بائسة، زوج «رزة/ شكران مرتجى» الرجعي، وزوج «سلمى/ صباح جزائري» الذي تزوج عليها ثانية وهي الطبيبة. وزوج القاضية «خلود/ يارا صبري» المرتشي، وصولاً إلى رياض المرادي المدعي و الكاذب.

لم تترك لنا الكاتبة خياراً إلا تحطيم المؤسسة الزوجية، مؤسسة الأسرة، مع أن هذا التحطيم قد لا يقدم حلاً في حالة الطلاق، ونرى معاناة الطبيبة التي تفكر بالانفصال عن زوجها، وإحساس القاضية بالضعف أمام أي شخص يتحرش بها في المصعد، وتبقى النهايات مفتوحة لأسئلة يجب أن تتفاعل في الواقع أكثر مما نبحث عن حلول لها عبر الشاشة أو في الدراما التي نجحت في رصد الواقع، فالعمل يتابع أحوال الأسرة السورية في زمن يعصف بالمتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

الجدة منى واصف مع حفيدتها سلاف فواخرجي (القدس العربي)

## لأن الموزعين لا يريدون مظاهرات سياسية ضده:

# دور السينما الاسرائيلية ترفض عرض فيلم «الجنة الآن»

لقطة من فيلم «الجنة الان»

■ القدس ـ من دان ويليامز: قال خبراء في توزيع الافلام يوم الجمعة الماضي انه من غير المرجح ان يحظى فيلم نال اشادة عالمية ويتناول دوافع المهاجمين الانتحاريين الفلسطينيين بمشاهدة واسعة النطاق في اسرائيل بعد ان تجنبت دور العرض السينمائية الكبرى عرضه.

وفاز فيلم «الجنة الان» الذي يصور قصة رجلين من الضفة الغربية المحتلة تم تجنيدهما ليفجرا نفسيهما في تل ابيب بجائزة الكرة الذهبية لاحسن فيلم اجنبي هذا العام في مهرجان الكرة الذهبية (غولدن غلوب) خلال الاسبوع الماضي وهو ما يتيح له فرصة المنافسة على الجوائز التي تمنحها اكاديمية العلوم والفنون السينمائية الامريكية.

ورغم ان احد منتجي الفيلم هو عامير هاريل الاسرائيلي الجنسية كما ان جانبا من التمويل جاء عبر اعتماد مالي مخصص للفنون من الحكومة الاسرائيلية فان عرض فيلم (الجنة الان) في الدولة اليهودية محدود في نطاق دور عرض البيوت الفنية المستقلة.

والقى هاريل باللائمة على الانتقادات الحادة التي تعرض لها الفيلم حتى قبل اشهر من انتهاء العمل فيه من جانب الاسرائيليين الذين عانوا من الهجمات خلال الانتفاضة الفلسطينية على مدى خمس سنوات.

وقال هاريل «يبدو ان الموزعين اجروا حسابات بسيطة وقرروا انهم في غير حاجة لاثارة مظاهرات سياسية خارج دور العرض الخاصة بهم».

ورغم ان لغة الفيلم هي العربية في معظمه فهذا لا يبدو انه يمثل عائقا امام عرضه في دور السينما الاسرائيلية المعتادة على الافلام الاجنبية. واوضحت شيريت جال وهي خبيرة علاقات عامة تعمل مع اكبر ثمانية موزعين سينمائيين في اسرائيل ان فيلمي «العروس السورية» و«العطش» لقيا اقبالا طيبا في دور العرض رغم ان الحوار كان باللغة العربية. وقالت «قام الموزعون في حالة فيلم «الجنة الان» بحساب التكلفة والربح واستنتجوا ان الامر لن يجلب لهم ربحا».

وكان للفيلم صدى طيبا واسع النطاق عند الفلسطينيين رغم ان مشكلة التوزيع لديهم مختلفة اذ لا توجد لديهم سوى دار عرض واحدة صالحة في مدينة رام الله بالضفة الغربية. ويظهر الفيلم الفلسطينيين وهم يعانون خلال كدهم في الحياة تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلي لكن شخصيات الفيلم تناقش ايضا ان كان هذا يسوغ اللجوء الى العنف. (رويترز)

## اخبار فنية

# جدل في المغرب حول فيلم وصف بانه «صهيوني»

■ الرباط ـ اف ب: يثير فيلم «ماروك»، الانتاج الفرنسي المغربي الذي سيخرج الى قاعات السينما في فرنسا في الخامس عشر من شباط/فبراير، جدلا حادا في المملكة المغربية حيث وصفه منتقدوه بانه «صهيوني» لانه يروي حكاية علاقة غرامية بين مسلمة ويهودي في المغرب.

ولم يبدأ عرض الفيلم الذي اخرجته المخرجة الفرنسية من اصل مغربي ليلى مراكشي بعد في قاعات السينما في المغرب لكنه عرض في مهرجان كان في ايار/مايو 2005 وفي الدار البيضاء في تموز/يوليو. واحتدم الجدل حوله منذ مهرجان طنجة في كانون الاول/ديسمبر الماضي.

وكتبت صحيفة «لا في ايكو» «ان الجدل بين منتقدي فيلم ماروك والمدافعين عنه يتنامى في حين عديدون هم الذين لم يشاهدوا الفيلم بعد».

ويتمحور النقاش حول مشهد بين شابين مغربيين وهما يهودي ومسلمة على وشك ان يمارسا الجنس. وتقول الفتاة وهي تنظر الى نجمة داود التي تتدلى من قلادة حول عنق الشاب «هل صحيح انكم انتم (اليهود) تسعون فقط الى انتهاك بكارة المسلمات؟».

وينحني نحوها الشاب ويضع حول عنقها القلادة والنجمة ثم يقول «هكذا ستتوقفين عن النظر اليها».

وكتبت صيحفة «تل كل» غداة مهرجان طنجة ان هذا المشهد «احبط العشرات من (النخبة) (فنانون وباحثون) الذين حضروا فيلم ماروك. لكن هذا الاحباط لا علاقة له بالسينما بل انه اجتماعي وثقافي وجنسي وديني».

وقالت صحيفة «لا في ايكو» «ان البعض رأوا في الفيلم محض انتاج صهيوني، فيلما يصدم شعور وكرامة العرب والمسلمين». واضافت ان المخرج المغربي محمد عسلي (الذي اخرج في الدار البيضاء فيلم «والملائكة لا تطير») اعتبره «انتهاكا في حق المغاربة والمسلمين».

من جانب اخر، تظهر في الفيلم الذي تجري وقائعه في الاحياء الفخمة في الدار البيضاء، الفيلات الكبيرة وسيارات السباق وحياة البذخ التي تتمتع بها اكثر الطبقات الاجتماعية المغربية ثراء. وذلك ايضا كان موضع انتقاد.

وصرحت المخرجة ليلى مراكشي لصيحفة «لا في ايكو» ان «ماروك عبارة عن صورة تعكس الحياة الناعمة لشباب مصاب بانفصام الشخصية منقطع عن الواقع يعيش حسب الانماط الغربية لكنه كثيرا ما يبقى متمسكا جدا ببلاده وتقاليدها».

واعتبر نور الدين صايل مدير المركز السينماتوغرافي المغربي ان «لا مجال لهذا الجدل» اصلا مؤكدا لوكالة فرانس برس «ان ذلك يعود لنوع من الاجواء الفاشية».

وامتد النقاش الى بقية محبي السينما المغاربة حتى الذين لم يشاهدوا الفيلم بعد. وقال عزيز في منتدى على شبكة الانترنت «برافو» يا ليلى مراكشي «لانك صدمت القائمين على النظام الاخلاقي، هؤلاء الذين نصبوا انفسهم آيات الله وحراسا على الاخلاق العامة»، بينما ترى فاتن ان «الفيلم لا ينسجم مع الثقافة العربية الاسلامية».

ولم يتم بعد تحديد موعد خروج الفيلم على الشاشات المغربية.

لقطة من فيلم «ماروك»

## فضائيات

# الفرز الفضائي في «شتاء دمشق»

خالد الشامي*

■ كان فصلا ينتمي الى الكوميديا السوداء ضمن التراجيديا السورية ـ اللبنانية، وليس مجرد خطاب رئاسي، ذلك الذي ألقاه الرئيس بشار الاسد السبت امام مؤتمر المحامين العرب في دمشق، وبحضور عدد قياسي من الاعلاميين ومذيعي الفضائيات الموالين للنظام المأزوم.

واذا لم نكن في عصر القنوات الفضائية، فان الفرجة السياسية الشعاراتية والهتافية والبهلوانية، والتعبير للرئيس السوري، التي قدمها الخطاب للمشاهدين كافية لتبرير اختراعها «على علاتها»، والتعبير هنا لاسامة بن لادن.

والشهادة لله، فان المسؤولين السوريين الذين وجهوا الدعوات الكريمة قد اثبتوا مهارة مخابراتية يحسدون عليها، اذ لم يوجد بينهم اعلامي او محام واحد مستاء من اعتقال عدد لا محدود من ابناء الشعب السوري في اقبية المخابرات بكفر سوسة وغيره من المعتقلات سيئة السمعة. ولم يوجد واحد بينهم لا يؤيد وبشدة وبحماس ملفتين كافة المواقف السياسية للرئيس السوري، حتى انهم كانوا يتزاحمون ليقاطعوا خطابه بخطب وشعارات وحتى قصائد شعر، كالجاهلي، جعله بعضها «سادس الخلفاء الراشدين»، ومنحه آخر لقب «عبد الناصر القرن الواحد والعشرين»، وغير ذلك كثير مما يصعب تصديقه.

بل ان احد الضيوف الممتنين «اكثر مما يجب» لكرم الضيافة الرئاسية السورية، ظهر في برنامج مساء السبت على الفضائية السورية شن فيه هجوما اقرب الى الردح على منظمات حقوق الانسان العربية معتبرا انها مجرد واجهة للاستعمار الغربي الذي يمولها، مغلقا الباب امام اي انتقاد لانتهاكات حقوق الانسان في سورية.

وتكفي هذه الاضاءات السريعة في قراءة هذا الخطاب اللارئاسي في اطار «فضائي من الدرجة الاولى»:

ـ كان الخطاب تاريخيا حقا لانه الاول من نوعه بعد ان انقلب ما يسمى بـ«الحرس القديم» في سورية ضد «الحرس الجديد»، وهذا عكس ما يحدث في كل بلاد العالم، ولكن رغم ذلك اكتفى في ظهور متوتر بـ«التنكيت» بينما مصير البلاد على المحك، بدلا من ان يعلن تشكيل لجنة تحقيق في مزاعم النائب السابق والتاريخي لرئيس الجمهورية «ابو جمال» او «ابو القبح» كما نعته رئيس مجلس الشعب في جلسة «تاريخية» ايضا لكن في هزليتها.

ويكفي ان تكون تلك المزاعم صحيحة ولو بنسبة (واحد في الالف) لتستحق التحقيق الرسمي فيها لمعرفة مصير المليارات من ثروات سورية وشعبها الطيب.

ـ هذا التشبث بـ«السيادة الوطنية» وتصادفه مع طلب لجنة التحقيق الدولية استجواب الرئيس السوري يطرح تساؤلات حول حقيقتها. فهل يكون لنظام سيادة او كرامة وهو لا يحترم سيادة القانون او كرامة شعبه، وحقه الالهي في الحريات الانسانية الاساسية؟

واين كانت «السيادة» عندما دعت الحكومة السورية المارينز لتسيير دوريات عسكرية مشتركة داخل الحدود السورية لمنع التسلل للعراق، وعندما ارسل النظام وسطاء من «العائلة الحاكمة/ المالكة» للقاء مقربين من شارون سرا في الاردن توسلا لاستئناف المفاوضات، وعندما طرد النظام «المغضوب عليهم» من الناشطين الفلسطينيين استجابة لرغبات واشنطن وتل ابيب.

فهل «الممانعة» التي ورد ذكرها في الخطاب تعني حقا ممانعة النظام لـ«المؤامرات الامريكية»، ام انها ممانعة واشنطن وتل ابيب للاستجابة لمغازلات وتنازلات النظام التي ترتكته بلا اوراق سياسية، وبلا زهرة ياسمين واحدة؟

ـ أما وأن «الدكتاتور الشرير» ابو جمال قد ترك الحكم منذ شهور طويلة، وغادر سورية مؤخرا ، فاين اذن الاصلاحات التي كان يعوقها، وهي تبدو اصعب من ابتكار «علم هندسة الصواريخ» في سورية، ام ان «الضغوط والمؤامرات» ستكون المبرر الجديد لاطلاق ايدي القمع والدكتاتورية في البلاد والعباد حتى اشعار آخر، كما بشرنا محلل فصيح ظهر في «الجزيرة» بعد اذاعة الخطاب؟

ـ ربما يصعب ان يجد اي باحث في التاريخ زعيما يرحب بعزل بلاده متفلسفا بأن «العزل قد يكون ايجابيا كما في عزل الاصحاء حتى لا يختلطوا بالمرضى»، كما قال الرئيس السوري، وكأنه يستعجل مجلس الامن ليفرض العقوبات ضد سورية، في استهانة بالمعاناة التي ستجلبها تلك على المواطنين السوريين في الداخل والخارج.

واخيرا اعان الله الشعب السوري العظيم على المتآمرين ضده من الخارج، وهم موجودون قطعا، وعلى رفاهية التبريرات السفسطائية المقامرة بمصيره في الداخل، والاهم على بعض المحامين والاعلاميين والفضائيين العرب المتربحين من وراء ازمته.

## شيزوفرينيا الامة العربية

برنامج «ستار اكاديمي» اللبناني الذي غاب عنه اي طالب سوري هذا العام لـ«اسباب جيوسياسية»، يقدم نموذجا فضائيا فريدا لـ«احوال الامة» ـ هذا العنوان مقتبس من التقرير السنوي للمؤتمر القومي العربي.

فالطلاب الخليجيون ـ طال عمرهم ـ يخوضون حربا اقليمية ضد باقي العرب دفاعا عن «ابناء ديرتهم» في معركة التصويت الاسبوعية، ويعتبرون انهم في مهمة مقدسة للدفاع عن اقطارهم، وهو ما يظهر جليا في حملات التصويت الهستيرية من جانب المشاهدين التي تحدث بمجرد ترشيح احد الطلاب الخليجيين للخروج من الاكاديمية.

اما المتفرجون الخليجيون الذين يحضرون حفل البرايم «الاسبوعي» فهم «فرجة» في حد ذاتهم، خاصة عندما يهبون مبحلقين في ارداف الصبايا وصدورهن، بينما يرفعون ايديهم التي تحمل المسابح (ربما لذكر الله في اوقات الراحة بين الفقرات)، في حال انفصام مثير للشفقة او الاشمئزاز.

اما المملكة العربية السعودية التي حظرت التصويت في البرنامج بفتوى شرعية اعتبرته «فاسقا» فلا تغيب اعلامها حاملة الشهادتين عن الحفل، بينما لجأ مشاهدوها الى الاتصال بالرقم الدولي لمناصرة «ولدهم» في «حرب الستار اكاديمي»، حيث المكان الوحيد الذين يستطيعون ان يصوتوا فيه اصلا في «تنفيس غريزي» عن حالة كبت سياسي واجتماعي يزيدها تعقيدا مزيج من انفصام الشخصية الرسمي والديني، وانكار مزمن للواقع.

المجتمع العربي في «ستار اكاديمي» مليء بالمواهب الجميلة ـ كما هو في الواقع من المحيط الى الخليج ـ ينتظر من يفتح امامه المجال ليسمع صوته لنفسه وللعالم، فلتفتحوا الابواب قبل ان ينفجر البركان!

## فاكسات فضائية:

● «مسكينة» قناة الجزيرة، كانت لم تفق بعد من «ضربة موجعة» اثر انفراد «العربية» بـ«خبطة الحديث القنبلة» مع ابو جمال، عندما أكدت الحكومة البريطانية خلو الوثيقة من اي اشارة لقصفها، واخيرا وصفها بن لادن بانها «صنيعة صنائع الامريكيين».

● قاتل الله المسؤولين عن عدم اذاعة القناة الفضائية المصرية لحفل افتتاح البطولة الافريقية ومباراة مصر مع ليبيا. الى متى يستمر هذا الاهمال والازدراء للمشاهدين المصريين في الخارج، ام ان التلفزيون باع حقوق البث المباشر للمستثمر السعودي نفسه الذي استولى على تراث مصر السينمائي العظيم؟

---

* كاتب من اسرة «القدس العربي»
khaled@alquds.co.uk

وارضيات